قراءة في مكتبة الملك عبد العزيز

بقلم : عبد الله بن حمد الحقيل

ما أكثر الجوانب المضيئة في حياة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه، ويأتي الاهتمام بالكتاب والعناية بالمعرفة ونشر التوعية والثقافة في مقدمة اهتماماته ولقد تجلى ذلك واضحا في اهتمامه بالتعليم باعتباره أساسا في نشر الدعوة الإسلامية التي قامت على أساسها الدولة السعودية منذ نشأتها، ولقد تجسد هذا الاهتمام في طباعة ونشر الكتب القيمة على نفقته الخاصة وفي معظم خطاباته وأحاديثه كان يحرص على تأكيد هذه الحقيقة.

لقد كان الكتاب يحظى بالمقام الأول من اهتمامه ولقد كان على قدر كبير من المعرفة إلى جانب حنكته السياسية وعبقريته المستنيرة حيث بنى دولة العلم والإيمان المرتبطة بروح الإسلام الحقة وأحيا معالم الدين والحفاظ على تعاليمه ونشر التعليم ووطن البادية وبعث بالعلماء والمرشدين إلى مختلف المدن والقرى وكان - يرحمه الله - يرى أن نشر الثقافة والعلم والمعرفة من الركائز الأساسية لمحاربة الجهل والفقر والمرض فأنشأ العديد من المعاهد والمدارس كدار التوحيد والمعاهد العلمية وكلية الشريعة في كل من الرياض ومكة المكرمة ودعم إصدار الصحف والمجلات والمطابع وكان للعلماء مكانتهم الخاصة والأخذ بنصائحهم المستندة على كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

ومن الصحف التي صدرت في عهده رحمه الله جريدة أم القرى وهي الجريدة الرسمية للدولة وصدر العدد الأول منها عام ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م، كما أصدر الشيخ عبد القدوس الأنصاري أول مجلة متخصصة في الثقافة والآداب في عهد الملك عبد العزيز وكان ذلك في عام ١٣٥٥هـ حين أصدر مجلة المنهل وما زال صدورها مستمرا.

كما استعان بالكفاءات العربية من ذوي الثقافة والمعرفة كالزركلي ويوسف ياسين والخطيب وغيرهم وتنوعت مصادر الأدب والفكر والثقافة والاهتمام بإحياء وطبع كتب التراث والأدب والفكر الإسلامي وتحقيق المخطوطات وتخصيص مكافآت شهرية للعلماء والأدباء والشعراء وإنشاء المكتبات العامة ولقد وصف «فيلبي» الملك عبد العزيز بأنه حاكم مثقف ولقد قابل عددا كبيرا من المفكرين والرحالة والمستشرقين فكان إعجابهم به كبيرا ووصفوه بأنه صاحب عبقرية وذكاء متميز، ولقد بهرت سيرته وإنجازاته وتاريخه مواهب الشعراء وتباهى الأدباء والشعراء والمؤرخون بتلك السيرة العطرة والمثالية المتألقة والاهتمام والعناية بالعلم والمعرفة والأدب والتعليم والصحافة والمكتبات وطبع كتب التراث وجمع المخطوطات وتحقيقها ونشرها مما كان له أثره وفاعليته في نشاط الحركة الثقافية في البلاد.

إن من يقرأ سيرة الملك عبد العزيز، رحمه الله سيدرك أنه بطل عظيم وعبقري فذ غرس أعظم وحدة في تاريخ هذا الوطن. وإن سيرته لتاريخ ناصع لا ينضب معينه. فقد كان عهده عهد إنشاء وبناء وتأسيس.

ومنذ استرد الملك عبد العزيز مُلك آل سعود، أقام دولته على أسس راسخة، ونشر الأمن والطمأنينة في أنحاء المملكة، كما أصبح العدل شريعة تطبق في كل شبر من أرضها ولم ينس فضل العلم بل كان حريصا على أن يتزود

به كل فرد من أبناء شعبه .

وإذا كان رحمه الله قد أرسى دعائم دولته الجديدة على العلم والإيمان ، فإن مكتبته لخير شاهد على مدى اهتمامه بالعلم ، وتعكس لنا حبه ومنزلته بالنسبة له . فجهوده المباركة في نشر العلم والمعرفة واضحة ملموسة وإن مكتبته الحافلة تدل على اهتمامه بالعلم وحرصه على نشر المعرفة بما لها من أثر إيجابي . ولقد حرص رحمه الله على نشر طباعة أمهات الكتب الإسلامية ونشرها مجانا في جميع أنحاء المملكة وتوزيعها في العالم الإسلامي على حسابه الخاص .

وإن الجانب الثقافي في حياة الملك عبد العزيز لعظيم جدا . فقد حرص على تنقية العقيدة الإسلامية من الخرافات والبدع كما اتخذ خطوات عديدة نحو نشر العلم وطباعة الكتب الإسلامية النافعة . وكان يكتب التوجيهات والنصائح الدينية التي تحث على العقيدة السلفية الصحيحة . ولقد طبعت في الفترة الأولى من حكمه عدة كتب لابن تيمية ولابن القيم وأحمد بن حنبل ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم من علماء الإسلام كما استضاف العديد من علماء الإسلام الذين يدينون بالعقيدة السلفية الصافية كما شجع الأدب والتراث وكان يحفظ الكثير من الأشعار ويتمثل بها وكان مجلسه الخاص والعام لا يبدأه إلا بعد درس في القرآن والحديث والسيرة النبوية كما أنشأ جريدة أم القرى والتي كانت تنشر الفكر السليم والثقافة والأخبار والتراث الجليل وغير ذلك من الأسس الفكرية والبذور الثقافية والمقومات العلمية التي كانت النواة للمستوى الثقافي والعلمي الذي نعيش فيه . حيث وضع لبنات هذا الكيان . ولذا فقد أقام دولته على أسس راسخة من العلم والإيمان ولقد كان من أهم أسباب نجاح جلالته ـ رحمه الله ـ هو تمسكه بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام فاتخذ من كتاب الله دستورا يعمل بموجبه وطبق أحكام الشريعة الإسلامية السمحة .

فنشر الأمن والطمأنينة في أنحاء المملكة. وأصبح العدل شريعة تطبق في كل شبر من أراضيها.

ولم ينس فضل العلم والأدب، بل كان حريصا على أن يتزود بذلك كل فرد من أبناء شعبه. فأنشأ كثيرا من المدارس الحديثة بمراحلها المختلفة في معظم بلدان المملكة، وأرسل بعوثا إلى الخارج. واستقدم في عهده المعلمين من الدول العربية الشقيقة. ثم أخذ في طبع الكثير من الكتب العلمية والثقافية. ووجه عناية خاصة إلى كتب العلوم الإسلامية المخطوطة. فأمر بطبع طائفة منها مجانا. وتوزيعها كما طبعت على نفقته كتب كثيرة في الهند ومصر لم يذكر عليها اسمه. إلا ما جاء على بعض مطبوعاته في الهند من أنها طبعت على نفقة من قصده الثواب من رب الأرباب. كما أمر بشراء مجموعات من كتب التفسير والحديث والتاريخ والأدب، القديمة والحديثة لتوزيعها مجانا.

ولقد كان من شدة اهتمام جلالته بالعلم والأدب، أنه كان له مجلس يومي يبدأ بعد صلاة العشاء وينتهي بانقضاء سهرة الملك. يفتتح هذا المجلس بالدرس الذى تتلى فيه أنواع مختلفة من الكتب في التفسير والتاريخ والأدب. وكانت العادة أن يبدأ بتفسير القرآن، ويثني بالتاريخ. ويتناول الحاضرون من أهل المعرفة وسواهم من الجالسين، ما يثار من تساؤلات ومناقشات بتعليقاتهم.

وكان هذا المجلس يزدان بالمقربين والعلماء من أمثال الشيخ حمد بن فارس والشيخ عبد الله بن أحمد العجيري، حيث كان يتلو عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكان راوية يحفظ مسند الإمام أحمد عن ظهر قلب وأخبار العرب وأقوال الشعراء والحكماء والأدباء.

وكان لجلالته عناية باختيار القراء ولابد أن يكون من حفاظ القرآن الكريم

والعارفين باللغة العربية ومن ذوي الأصوات الحسنة والاطلاع الجيد .

وكان رحمه الله يستقبل العلماء ويجتمع بهم في كل يوم خميس من كل أسبوع في جلسة عامة مفتوحة في قصره .

وفي موسم الحج كان يلتقي بكبار العلماء والزعماء للعالمين العربي والإسلامي ، ويناقش معهم القضايا الإسلامية ومسائل العقيدة الإسلامية ، كما بعث الدعاة والمرشدين إلى العالم الإسلامي .

وكان سخيا في الإنفاق على إحياء كتب التراث الإسلامي . ويذكر خير الدين الزركلي أن الملك عبد العزيز قد وجه عناية خاصة إلى كتب العلوم الإسلامية المخطوطة ، فأمر بطبع طائفة منها وتوزيعها مجانا .

من تلك الكتب :

التفسير : تفسير القرآن الكريم ، للإمامين ابن كثير والبغوي	٩ مجلدات
أوضح البرهان في تفسير أم القرآن للمعصومي	١
التاريخ : البداية والنهاية لابن كثير	١٤
طبقات الحنابلة ، لابن أبي يعلى	١
روضة الأفكار (تاريخ ابن غنام)	٢ في مجلد
الفتاوى : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية . لجماعة من علماء نجد	٤
الدرر السنية في الأجوبة النجدية لجماعة من علماء نجد	٤
مجموعة رسائل وفتاوى ، لشيخ الإسلام بن تيمية	١
مجموعة رسائل وفتاوى . لبعض علماء نجد	١
الفقه وأصوله : المغني والشرح الكبير ، لموفق الدين وشمس الدين ابني قدامة	١٢

الثلاثة الأصول والأربعة القواعد، للشيخ محمد بن عبد الوهاب	١
روضة الناظر، لابن قدامة، مع شرح لبدران	١
مجموعة المتون في الفقه والتوحيد، لبعض علماء نجد	١
الحديث : كتاب السنة، لعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل	١
مجموعة الحديث النجدية، لبعض علماء الحديث،	
وجامع الأصول لابن الأثير	١٢
شرح تهذيب سنن أبي داود، لابن القيم، معالم السنن، للخطابي	٨
مختصر السنن، للمنذري	٣
الأدب : الآداب الشرعية لشمس الدين ابن مفلح	٣
روضة المحبين، لابن قيم الجوزية	١
ديوان ابن سحمان	١
التوحيد : التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لابن خزيمة	١
مجموعة التوحيد، للشيخ محمد بن عبد الوهاب وآخرين	١
فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن	١
الهداية السنية	١
الفقه : كشف القناع، للبهوتي	٦
شرح منتهى الإرادات، للبهوتي	٣
زاد المستقنع، لشرف الدين الحجاوي	١
عمدة الفقه، لموفق الدين ابن قدامة	١
مناقب : مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي	١
العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي	١
متفرقات : الفروسية، لابن قيم الجوزية	١

عمدة الأخبار في مدينة المختار، لأحمد بن عبد الحميد العباسي ١
يسر الإسلام، للسيد محمد رشيد رضا ١
تاريخ القرآن الكريم وغرائب رسمه وحكمه، لمحمد طاهر الكردي ١
خديجة أم المؤمنين للسيد عبد الحميد الزهراوي ١

ولقد كانت مكتبة جلالته الخاصة خير شاهد على ما ذكرناه كما أنها تعكس لنا مدى اهتمام جلالته بعلوم الدين الإسلامي ودعوته المستمرة للتمسك بمبادئه والعمل بأحكامه، وتحتوي هذه المكتبة على ١٥٥١ مجلداً في شتى فروع المعرفة الإنسانية. تحتل كتب الدين الإسلامي بعلومه المختلفة من التفسير والحديث والفقه والتوحيد والسيرة النبوية ٣٥٪ منها، أي ما يزيد عن ثلث المكتبة، كما بلغت نسبة الكتب التاريخية والجغرافية وكتب التراجم أكثر من ٢٥٪ معظمها من التاريخ الإسلامي والعربي في عصوره المختلفة بالإضافة إلى تاريخ الدول الأوروبية والآسيوية والأفريقية، أما اللغة العربية وآدابها فقد لقيت مكانا رحبا في مكتبة جلالته، إذ بلغت نسبتها ما يقرب ٢٠٪ فيها دواوين الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي والشعر الحديث بالإضافة إلى المعاجم اللغوية وقواميس المصطلحات وكتب النحو وتنوعت النسبة الباقية من المكتبة بين كتب السياسة والقانون الدولي، والعلوم العسكرية والطب، والاقتصاد، والزراعة، بالإضافة إلى الكتب العامة والموسوعات العربية مثل: صبح الأعشى للقلقشندي، ودائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي، ودائرة معارف بطرس البستاني.

وتضم المكتبة في داخل الموضوعات العديد من أمهات الكتب، من بينها ما قد مضى على طباعته ما يزيد على مائة عام، مما يضعها في عداد الكتب النادرة.

كما تحتوي على بعض المخطوطات منها (نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب المسماة المقصد الجليل في علم الخليل).

ولقد لقيت مكتبة الملك عبد العزيز – رحمه الله – اهتماما بالغا، كان لجامعة الملك سعود شرف استلامها، فاهتمت بتجليد مجموعاتها للحفاظ عليها، وجندت لها الخبراء، والفنيين الذين تولوا فهرستها وتصنيفها وإعداد فهرسي المؤلف والعنوان، وعندما أنشئت دارة الملك عبد العزيزو بالمرسوم الملكي الكريم رقم م/ ٤٥ وتاريخ ٥/ ٨/ ١٣٩٢هـ نصت الفقرة (د) من المادة الثالثة من نظامها على إنشاء قاعة تذكارية تضم كل ما يصور حياة الملك عبد العزيز وآثار الدولة السعودية منذ نشأتها.

فكان أن انتقلت المكتبة إلى الدارة في شوال ١٣٩٢هـ ووضعت في مكان خاص، وهيىء لهذا الغرض داخل القاعة التذكارية، يتصدره مكتب جلالته الذي أهداه إليه الرئيس الأمريكي ترومان في عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م وهو مصنوع من خشب الأرو الممتاز.

ولقد نشرت قائمة ببليوجرافية لمحتويات هذه المكتبة في العددين الأول والثاني من السنة الأولى لمجلة (الدارة) – حتى يتبين للقارئ والباحث أهمية هذه المكتبة من استعراض محتوياتها فهي تشتمل على الآتي:

الموسوعات العربية، الدوريات العربية العامة، المؤلفات المجموعة، الدراسات النفسية، المنطق والأخلاق، الدين الإسلامي، القرآن وعلومه، التفسير – الحديث وعلومه، أصول الدين، الفقه وأصوله، فقه المذاهب الإسلامية، الأخلاق الإسلامية، السيرة النبوية، العلوم العسكرية، الإدارة العامة، الاقتصاد، اللغة العربية وآدابها، الطب، الأدب، الشعر، التاريخ، آداب اللغات الأخرى، الجغرافيا، التراجم، الفلاسفة، الملوك والرؤساء

والقادة، اللغويون، رجال الأدب، الأنساب، التاريخ القديم، وغير ذلك من العلوم والمعارف والآداب من أمهات الكتب ونوادرها .

وهكذا في مجال الاهتمام بالعلم والعلماء تبدو أعمال الملك عبد العزيز مشرقة في تاريخ هذه البلاد، وأن تاريخه سجل طويل مفعم بالأخلاق والمبادئ والقيم وسيظل التاريخ شاهدا أمينا على ذلك، ما تعاقب الليل والنهار وقصارى القول فتلك نفحات قليلة من تاريخ حافل مجيد، وإلمامة سريعة تبرز العناية والاهتمام بكل نواحي الثقافة والفكر.

ونأمل أن يكون في هذا العرض الموجز الإيضاح عما تضمنته هذه المكتبة الزاخرة، في شتى فروع العلم والمعرفة والثقافة، حيث كان جلالته يهتم بالكتاب والعلم والعلماء ونشر العقيدة الإسلامية مما حقق نتائج طيبة وحميدة، جعل مؤرخي الأدب يجمعون على تسمية عهد الملك عبد العزيز بعهد النهضة الفكرية نتيجة دعمه السخي في شتى حقول المعرفة والعطاء المتميز للعلم والمعرفة والدعوة وخدمة الإسلام والمسلمين.